هل الإلحاد موقف عقدي؟

بيار بِين
ترجمة: سفيان حودة

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2020
All rights reserved © 2020

هل الإلحاد موقف عقدي؟[1]

المؤلّف: **بيار بِين** (Piers Benn)

ترجمة: **سفيان حودة** (المغرب)

1- النص الأصلي:

Piers Benn, Is atheism a faith position? Think 5 (13): 25-34. 2006

الموحّدون هم طائفة من الناس الذين يؤمنون بوجود الله، مع وسمهم بسمات مميزة كالقوة المطلقة، والإحاطة بكل شيء علما، والخير المطلق. ويُتّهم الموحّدون بأنّ إيمانهم مجرّد "مسألة عقدية" ولا يمكن، أو على الأقل، لم يتمكّنوا حتى الآن من الدفاع عنها بنجاح عبر تقديم أدلة عقلية. وبتوفّر الفكر الفلسفي على تيار جدلي قوي يطلق عليه اسم **تيار الدليلية** Evidentialism، ويحث أصحاب هذا التيّار على أنّه من غير المنطقي الإيمان بدعوى دون أن تكون لها قرائن كافية تدعمها، ويذهب بعض أعضاء هذا الفكر الفلسفي إلى أبعد من هذا، من خلال الزعم ليس فقط أنّ الإيمان بدون وجود قرائن كافية بالأمور غير المنطقية يجافي العقل، بل يعتبر عارا من الناحية الأخلاقية. ويبدو هذا جليا لدى **الكاتب ويليام كليفورد** الذي عاش في القرن التاسع عشر، حيث قال: «لطالما كان الأمر مجحفا لكل من تسوّل له نفسه، في أي زمان كان، أن يؤمن بشيء بدون وجود أدلة كافية عليه»؛ فالموحدون، من ناحية أخرى، يستخدمون نفس الأساليب للدفاع عن معتقدهم، عبر قولهم إنّ إيمانهم مرّ من عدة تجارب دلالية تحترم ملكة العقل البشري، وكما يدافع بعض الموحدين بالقول إن كان التوحيد موقفا عقديّا، فالإلحاد هو أيضا موقف عقدي، ولا ندري ما إذا كان الملاحدة يعترفون بهذا أم لا. وحتى مع الاعتراف بصعوبة توفير أدلّة تدعم التوحيد، فنفس الأمر ينطبق على الإلحاد، فإذا كان للإلحاد شرعية، فنفس الشيء يقال عن التوحيد.

فالمسألة تغلّفها عدّة مسائل متعدّدة يجب أن تُفَكّ خيوطها، لكن قبل الشروع في هذا، فيجب علينا استحضار جدلية منتشرة ومألوفة لدى التيار الإلحادي، والتي تلقى صدى واسعا لدى الفلاسفة المعاصرين، ويتم الدفاع عنها بشكل واضح من لدن بعض الكُتّاب من ضمنهم، جون ماكي وسيمون بلاكبرن، (وحتى أمد ليس بالبعيد)، أنطوني فلو. فببساطة يزعم أصحاب هذا التيار أنّ عبء تقديم الدليل يقع على عاتق الموحدين وليس على عاتق الملاحدة، وأنّ هذا العبء لم يتم وضعه في مكانه المناسب بعد، بعبارة أخرى، فالله غير موجود من الناحية المنطقية، ويمكن دحض هذا الادعاء فقط بإظهار دليل واحد مقنع عن وجود الله. ومن جهة أخرى، لم يقدّم أحد فرضية أو دليلا منطقيا يدعم ادعاء الموحّدين. كانت الجدالات السكولائية التقليدية التي فنّدها فلاسفة عصر الأنوار، وعلى وجه الخصوص هيوم والفيلسوف الألماني كانط. ولم يقم أي من الفلاسفة المعاصرين بالإتيان بأي دليل مقنع. والأكثر من هذا، فإنّنا اليوم نعي أكثر من أي وقت مضى القوة السيكولوجية والسيسيولوجية التي أفرزها لنا الاعتقاد الديني، وهذان العاملان (بالإضافة إلى تكالب عوامل أخرى) كفيلة بتقديم شرح عن سبب استمرار المعتقد التوحيدي، حتّى وإن كان بلا أساس.

فإذا كان الأمر صحيحا، فيمكن لنا أن نفهم تحفّظ الملاحدة من الاعتراف بالإلحاد كموقف عقائدي. فلنفترض جدلا أنّنا نفهم الموقف العقدي على أنّه مبني على غياب الأدلّة الداعمة، أو تحديدا، بغياب تام أو لبس في الأدلّة المادية؛ فالموقف الإلحادي واضح فهو يقول بأنّ الإلحاد يتمتع بموقف منطقي أو حتى مع

وجود نوع سلبي، فالدليل العقلي للإلحاد يتألف من النقص التام للبرهنة على التوحيد، حتّى إنّ الأمر لا يحتاج إلى تقديم أي جدالات تدعم هذا الموقف، كالموقف الجدلي من الشر. فكلّ ما يتطلّبه الأمر هو قلّة القرائن لدى الموحّدين. فإذا كان الأمر على هذا النحو، فإنّ الإلحاد ليس مبنيّا «على الإيمان»، لأنّه يتأسّس على تصوّر عقلي، فليس من الضروري أن ننكر وجود الإله لكي نكون ملحدين - فإذا كنا نعني بمصطلح «إنكار» تقديم استظهار ضدّ التوحيد - فغياب الوازع العقلي للإيمان بالإله كاف لجعل الأمر منطقيا لعدم الإيمان.

بيد أنّ الجواب على تقديم البيّنة على من ادعى فيما يخصّ التوحيد، ليس بالأمر الهيّن كما يبدو لنا. فمن الناحية السطحية على الأقل، فإنّ التساؤل يحمل نفس المعنى، فيما إذا كان بابا نويل أو جِنّيّة الأسنان لهم وجود في الواقع، فالبالغون ليسوا: «لا أدريين» لهذه الشخوص، لأنّ وجودهم لا يمكن نفيه، لنفترض اعتباطا، أنّ اللاّأدري ترقى إلى مستوى إطلاق الأحكام من أنّ هناك نسبة ما بين 15 في المائة إل 85 في المائة من أنّ هذه الكيانات لها وجود، فهذا الموقف اللاأدري بطبيعة الحال لا ينبغي أن يبنى على حقيقة أنّه لا يمكن نفي وجود هذه الكائنات. وباتباع هذا المنطق، فيجب علينا إدراج مقاربة مقارنيّة لعدد لا يحصى من الكيانات الغريبة، والتي لا يمكن التحقّق من صحّتها. فمن الواضح أنّ فرضيّة بابا نويل ليس لها أيّة قوة تأويلية أو تنبوئية. فلا توجد ظاهرة معروفة تحتاج لفرضية لتفسيرها.

أما فيما يخص التوحيد فالأمور، في تقديري، ليست بتلك السهولة. ذلك أنّ التوحيد على الأقل ذو طابع فلسفي، فهو موضوع ميتافيزيقي يحمل في طياته عدة مواضيع أخرى عن الحتمية والصدفة والتأويلات الكافية، فمن السهل تبني النظرة الشمولية، إذ إنّ التساؤل عن مدة وجود الله من عدمه ليس تساؤلا عن حقيقة ما إذا كانت الحقيقة تقع لاحتضان كيان إضافي، فهذا يُحدث تؤثرا على فهمنا الكامل للحقيقة. فالفرق بين المجال التوحيدي والإلحادي يختلف جذريا لدرجة أنّ المرء لا يمكن تخيّله، فالبون شاسع في الحقيقة. فبضعف التصور البشري، فإنّ الأمر يبدو من السهل غض الطرف عنه. فهناك بعض التقاليد داخل التوحيد تصرّ على أنّه إذا ما كان التوحيد حقيقيّا، فلا يجب علينا دائما توقع أن نتّخذ موقفا إبستمولوجيا إيجابيّا من أجل تكوين حكم متّزن فيما إذا كان الحكم صحيحا أم لا.

من هذا المنطلق، يرى الفيلسوف المسيحي توماس موريس أنّ الصعوبة الكبيرة لفهم المنطق الميتافيزيقي بشكل عام يعني أنّ المنطق الميتافزيقي بشأن موضوع التوحيد هو أيضا صعب. والأدهى من هذا، فإنّ بعض الديانات التوحيدية ترى أنّ ارتكاب معصية يمكن أن يفسد عقولنا. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا بخصوص هذه الأديان أنه **إذا** ما افترضنا جدلا أنه لا يوجد سبب منطقي للإيمان بها فهذا يحتّم علينا اعتبار تلك الأديان زائفة، إذ الأمر لا يقف عند هذا الحد فقط، فقد ظهرت في السنوات الأخيرة أعمال، حيث كان

«ألفين بلانتينغا» سببا في ظهورها بشكل كبير، بيّنت أنّ التوحيد هو «اللاهوت الدفاعي» فالمنطق - الذي دافع عنه بلانتينغا - ليس مبنيا على أساس دليلي. فأنصار هذه النزعة التبريرية القائمة على الاعتقاد تقارنُ التوحيد مع بعض الأديان التأسيسية، كوجود عالم آخر أو إمكانية التصديق بالإدراك الحسي. فنحن نقبل هذه الأشياء كما هي، لكننا لا نستطيع تقديم دليل عليها الشيء الذي لا يفترض بنا أن نتساءل حول تلك الأشياء. ومن ثمّ لِمَ نطالب بمعايير عليا للبرهنة على التوحيد أكثر من هذه المعتقدات؟

لا أعتقد أنّ أيّا منها حتميّ، فالإيمان المبني على الدليل يواجه مشكلات كبرى، على الأقل مع اللاهوت الدفاعي المسيحي، فعلى سبيل المثال يمكن استخدامها بعقلانية في الإسلام كما في المسيحية، غير أنّ هذا يجب أن يمنحنا فسحة للتأمل. على أيّة حال، لا أود أن أسعى في الخوض في منطق البينة على من ادعى أكثر من هذا. فهناك من يرى أنّ التوحيد كله منطقي والأمر بديهي، وهذه هي النظرة التي تتبناها الكنيسة الكاثوليكية. فبالرغم من هذا، فإنّ الكنيسة لا تلزم نفسها بتقديم أيّ من الحجج عن وجود الله. فبالنسبة إلى هؤلاء المؤمنين، إنّ الإيمان ليس كالاعتقاد، ومما لا شك فيه أنه يحتوي على درجات منه داخل الإيمان، وهذا يقودنا إلى فكرة أكثر تعقيدا عن الإيمان أكثر مما تطرّقنا إليه سلفا.

فإلى حد الآن، بيّنا أنّ الإيمان هو اقتناع يعترف به أصحاب الإيمان الذين يعترفون على أنّه يقين يفتقر إلى بعض الأدلة الدامغة للمعايير الدلالية التي نطلبها نحن في اعتقاداتنا الدنيوية، أو مجملها. فالإيمان ليس يقينا فرضيا فقط، فبالرغم من الأمر قد يحمل هذا المعنى، فإنّه بالأساس هو التزام بنمط حياة، لحصد ما يأمله المرء من العلاقة المستقيمة مع الرب عبر العبادة، والصلاة والعمل الصالح، إلى القيم الروحية والسعي نحو الخلاص. فالأكثر من هذا فالتقاليد المسيحية تعبّر أكثر بما يعرف بمفهوم الأمانة أو الثقة. وفي الحقيقة، فإنّ الكلمة الواردة في العهد الجديد Trust مشتقّة من الكلمة اليونانية (pistis)، والتي تعني الأمانة أيضا.

فمن المحتمل أن نقول إنّ بعض المزاعم اللاهوتية يمكن إثباتها، ويمكن التصديق بها أيضا، فيما يتم في الوقت نفسه وضع حدّ فاصل بين التصديق بها والمعتقدات الافتراضية، كما أرى أيضا أنه من الممكن الإيمان مع عدم الاعتراف بوجود الربّ، لأنّ إثبات وجوده أو تقديم دليل عليه لا يبدو ممكنا، وربّما الذهاب إلى أبعد من هذا، وذلك بالاعتراف بعدم وجود فرصة حقيقية لعدم إثبات وجود الربّ، ويبقى التساؤل المطروح هنا هل توجد أية معايير يمكن للإلحاد تحديدها؟

فقد صادفنا من قبل الملحد الدليلي، الذي يقتنع بأنه لا يوجد أي سبب يدعونا للإيمان بوجود الله، حتى إننا من الممكن أن نتخيّل نسخة من الملحد الذي يتبنى اللاهوت الدفاعي المسيحي الذي لا يؤمن بالتوحيد، وإنما بالإلحاد الذي هو بالأساس ركن الاعتقاد (حسنا، لا يمكن للإلحاد أن يثبت، لكن مَن كان ذا عقل يعرف أنّه

لا وجود للرب، فمن الواضح أنّه اعتقاد واضح من أنّ الحقيقة ليس كما يبدو عليه إن كان الرب موجودا). ولكن هل هناك سجلاّت إلحادية للإيمان من بين التي تقدّمنا بذكرها سالفا؟ هل يمكن أن يكون الإلحاد التزاما بنمط حياة أو فكر، يتخذ من جحود وجود ذات إلهية منصّة له؟

يتخذ الملحدون أشكالا وألوانا مختلفة، فأكثرهم غير مهتمّ بالسؤال الديني على الإطلاق. فإنكارهم للربّ كإنكارهم لوجود كائنات فضائية تختطف الناس، فإذا طرح عليهم السؤال، فهم على ثقة من أنّه لا يوجد رب، لكنهم لا يألون جهدا للتأمّل في هذه القضية أكثر مما يقضونه في التأمل في قضية الكائنات الفضائية التي تختطف الناس من ذويهم ويقومون بإجراء تجارب شنيعة عليهم. بيد أنّ هناك بعض الملحدين المهتمين بهذا السؤال، ومن بينهم بعض الفلاسفة الكبار، غير أنّ معظمهم لم يكلّف نفسه عناء الكتابة عنه إلا القليل، نذكر منهم ماكي (1917 Mackie-1981) في كتابه الذي نشر بعض وفاته **معجزة التوحيد The Miracle of Theism** الذي قدّم فيه تحليلا حكيما للسجالات القائمة على التجاذب بشأن قضية التوحيد، سواء التي كانت معه أو ضده، والتي حواها بالأساس وبشكل كبير كتابه إلى جانب قضيّة الإلحاد. وهناك بعض الفلاسفة أيضا الذين أطلّوا علينا في القنوات الفضائية يدافعون عن الإلحاد، ولكني أرى أنّ الموضوع أعطي له أكثر من حجمه من الناحية الأكاديمية. ومن الفلاسفة نجد فيريدي أير (1910-1989) والذي كنت قد حاورته في مقابلة في مجلة أكسفور الطلابية ISIS وفي النهاية تحدثت معه في أمور تتعلق باللاهوت الشيء الذي رفض الخوض فيه، ففي بداية مسيرته لم يكن يرى بأن تلك الادعاءات خاطئة فحسب، بل كان يرى أنها بلا معنى. ومن ثمة طرحت عليه سؤالا عمّا إذا كان الأمر يستحق النظر في مسألة التوحيد من الناحية الفلسفية، فكان ردّه أنّه يعتقد بأنّ الامر متجاوَز بالرغم من سهولة الخوض في المسألة. ومن أمثال هؤلاء نجد ماكي الذي كان مستعدا لسحق المحاولات الأخيرة لإحياء الجدل الأنطولوجي، فقد كان شديد الوثوق بعدم وجود إله كتأكّده الشديد من عدم وجود حمار وحشي في منزله، ومع ذلك فإنّي أؤكد الجملة الأخيرة، فلطالما كان متحيرّا من حقيقة إيمان بعض الفلاسفة الذين كان يكنّ لهم الاحترام الفكري أمثال مايكل دوميت Michael Dummett، ولكنه اضطر للاعتراف أنّها كانت حالة.

أما "أير"، فيرى أنّ عدة جوانب من الديانات التوحيدية ليست فقط مخطئة، بل شريرة من الناحية الأخلاقية. فعلى سبيل المثال، إنّ معتَقَد آلام المسيح وموته تكفيراً عن خطايا البشر يضعه في خندق آخر مع تفرقة داخل الملحدين. فبعض الملاحدة، في المجمل، يرى أنّ الديانات التوحيدية شيء جيد على المستويين الشخصي والمجتمعي. أمّا الآخرون أمثال "أير" فإنّهم يعتقدون أنّ الديانات، حتّى وإن كانت تحمل في جوهرها بعض الجوانب الخيرة، فإنّها تبقى في مجملها شريرة. ومن بين الحجج للاعتقاد بكون الديانات شريرة هي أنها تسلب منك استقلاليتك، وتفرض عليك فكرة (خاطئة) عن معنى الحياة والأشياء التي

يجب عليك السعي نحوها. وفي دراسة نقدية للأديان قدّمها "كورت باير"، فإنه يتخذ موقفا استثنائيا خاصا بخصوص التعاليم الدينية، وهي كوننا مخلوقات خلقنا الله، فنحن خلقنا من "أجل" شيء ما ولابد لنا من تحقيق هذا الشيء، ويرى بأن هاته الفكرة فيها إساءة للبشرية، كما هو الأمر إذا قصدت خادما في حفلة الذي يسهر على تقديم الشراب لك في حفلة اجتماعية كبيرة وتقول له: "إذن، ما الذي تفعله من أجلنا هنا؟"، وفي بضع سنين خلت، تمت إهانة الويلزيين جماعيا بعدما تعجبت بصوت عال شخصية تلفزيونية، وهي آن روبنسون Anne Robinson عن سبب تواجد الولزيين هنا.

وهذا يساعدنا بشكل غير مباشر على فهم لماذا قد يكون الإلحاد موقفا عقديا؟ فالإلحاد إلى حد ما يقدم تعريفا لنفسه من خلال ما هو ضده، فهو لا تروقه الأوامر التي فرضها علينا الرب، وبدلا من هذا يقول لنا إنه يجب الإيمان بأنفسنا وإمكانية تحقيق تقدم من خلال استغلال ملكاتنا الخصبة، وربما يندرج هذا ضمن الموقف الإنساني بدلا من الموقف الإلحادي، وبما أنّ كون المرء ملحدا لا يجعل منه محسوبا على التيار الإنساني، إلا أنّه توجد أرضية مشتركة تجمعهما، وإنّ معظم الإنسانيين هم من اللاأدريين، سواء كانوا ملحدين أو غير موحدين، فالبعض منهم يرى التوحيد على أنه يقمع المرء ويفرض سلطته عليه، وربما يحاول أن يفرض عليه بنيات اجتماعية غير عادلة. فأما الإنسانيون، مع بعض الاستثناءات المهمة، كانوا يدعمون منذ أمد التيارات السياسية اليسارية ومواقف الحريات الاجتماعية، فهم يرون أنّ الدين يؤجج التعصب وموقف «نحن وهم»، بالإضافة إلى الخلاص الصافي للمؤمنين، وهذا المعتقد الذي جرّ الويلات على غير المؤمنين، على الأقل منذ «توم» بين (1737-1809) الذي كتب كتابا عن عصر المنطق، فقد كان بين ربوبيا، يؤمن بوجود خالق خارق وحكيم بدون إعطائه للصفات التي يصفها به الموحدون كانكشافه لنا، بيد أنّ نظرته تتطابق تقريبا مع قناعات النزعة الإنسية، فمن حيث إنه مهما بلغت درجة الإنسان من العيوب، فإنه لم يأت إلى الدنيا بخطيئة أصلية ولا يحتاج إلا الخلاص – خصوصا ليس عبر رجل عذب وصلب إلى حد إلى الموت، وليس هناك داعٍ للخجل من وجود البشرية على هذه الأرض، وما علينا فعله ببساطة هو العمل الدؤوب للرقي والتعاون الاجتماعي لتحقيق الرضى الفردي. فبالنسبة إلى العديد من أصحاب هذا التيار، فإنّ غياب معنى محدد لحياتنا هو في الحقيقة أكثر تحررا مما قد يبدو مرعبا، فلدينا الوسائل التي تجعلنا نحقّق الرقي بأنفسنا، ونحن نمتلك الأدوات لتحقيق ذلك، ومع هذا فمن اليسر إساءة استخدامها. إذن «فالمعتقد» الإلحادي يتكوّن جزئيا من الإيمان بإمكانيات الإنسان وتحميله المسؤولية الكاملة في كيفية استخدامها.

وهذا يلخّص بعض جوانب التيار الإنساني. فالشناعات التي ارتكبها الإنسان خلال القرن الماضي قد جعلت نظرة الإنسيين التفاؤلية عن التقدم نظرة دامسة. كما أنّ الأنظمة الأكثر قمعية وفظاعة في القرن العشرين - مثل نظام الاتحاد السوفياتي والنظام النازي في ألمانيا، ونظام الماوي في الصين - قد اضطهدتْ

الدين (بالرغم من أنّ النظام النازي تظاهر بخدمة الدين) واعتبرتْ الدين يقف عائقا في طريقهما لتحقيق الحياة الفاضلة، وعندما يُذكِّر أنصار التيار الإنساني، بهذه الفظاعات، فإنهم ينزعون للقول بأنّ تلك الأنظمة القمعية جنّدت الحساسيات الدينية لخدمة أهدافها الخاصة. والمشكلة الجوهرية للنزعة الإنسانية هي تكريسها أحادية الفكر الجماعي، وهو ما يمثّل امتدادا للطاعة العمياء للسلطة والاضطهاد. وهذه الصفات يمكن رصدها في الأنظمة العقدية الدينية واللادينيّة على حدّ سواء.

وعلى الرغم من هذا، فإنّ الإلحاد ذا النزعة الإنسية يحدد الإلحاد بما هو ضد الإيمان، وبهذا فهو لم يتحرر من الدين كما يأمل المرء. نعم، من الطبيعي جدا الإيمان (بمعنى الالتزام) من أجل تحقيق قدرتنا على التقدم والعيش حياة مزدهرة، ونرى الديانات تعبّد الطريق لهذيْن المعنييْن، ولكن يمكن للمرء إعطاء تقييم لهاته الأشياء بدون الحاجة للرجوع إلى الدين. فالفرق بين أنصار التيار الإنسي الذين يفكرون بهذه الطريقة، وأنصار التيار العقدي، هو أنّ الأخير يرى أنّ الدين (أو الدين الحقّ) هو الشيء الوحيد الذي يحرّر إمكانيات الكامنة في الإنسان. ففي سفر بولس يَعِدُ المسيحُ الناسَ بحياة الرفاهية لمن يتبع تعاليمه، غير أنّ الإنسيّين يختلفون حول هذه النقطة، فهم يقولون بأنّ هذه الوعود خرافية و-أو أنّ الوعد بتلك الحياة ليس لها وجود بالأساس. ولكن إذا كانوا مخلصين ومنسجمين مع مبادئهم الإنسية، فعليهم إصلاح «إيمانهم» بالأشياء التي يمكن أن تُقيَّم بشكل مستقلّ عن علاقتهم بالدين.

ولتوضيح هذه النقطة، فللنظر إلى ما يدّعيه الملحدون الإنسيون بشكل رسمي، فهم يرون أنّه لا يوجد إله، أو حياة أخرى، أو أوامر إلهية، وأنّ وجود البشرية، ربما هو بدون تفسير سببي، ليس له تأويل شخصي أو منطقي. ولكن قد يقول قائل: يمكن مسامحتهم لأنّهم كوّنوا انطباعا بأنّ الملحدين الإنسين لا يؤمنون بوجود إله، ولكن يؤمنون بوجوده غير أنّهم متمردون عليه. وهذه صفة لغير المؤمنين في المرحلة الفيكتورية كانت موجودة أكثر مما هو عليه الحال اليوم. وهذا الأمر موجود إذا ما قالوا: ستكون حياتنا أفضل لو تركَنا اللهُ وشأننا بدون أن يتدخّل في حياتنا. ولكن بطبيعة الحال، إذا كان المرء لا يؤمن فعلا، فإنّه لا يؤمن بوجود إله، ومن ثمّ سيرى الدين نفسه كظاهرة إنسانية محض. وإذا كان للدين فعلا سماتٌ للشر، فإنّ الخطأ يكمن فينا نحن بني البشر، لأنّنا ابتدعنا دينا بهذه الأخطاء، وكيف يمكن لنا أن نتعرّض للظلم من قوة إلهية، إذا لم تكن تلك القوّة موجودة أصلا؟ إذا كان الدين يضطهد، فلأننا نحن نضطهد أنفسنا به، وإذا كانت لدينا نزعات فطرية لاضطهاد أنفسنا، فعلينا أن نتساءل عن المحاولات العديدة التي نسعى فيها إلى تحرير أنفسنا. فغالبا ما تكون على شكل تغيرات سياسية، قد تحمل في طياتها بذورا أكثر للاضطهاد، وهذا على الأقل ما يحكيه لنا التاريخ، من العديد من حركات التحرير المزعومة، والتي تحولت إلى حركات استبدادية تعمل على تحطيم الروح البشرية.

وهنا نرى كيف يمكن للإلحاد أن يكون موقفا عقديّا، فمن الناحية الإنسية فهو تأكيد على القيم الإنسانية مع التصديق بالدين أو على الأقل بوجود أشكال شتّى عنه، يقف في طريق هذه القيم. ولكن ماذا عن الجانب المشرق للإلحاد؛ أي الاقتناع البسيط بعدم وجود إله؟ هل هذا هو حقّا الإلحاد؟ أو هو ما يمكن أن يكون محسوبا على الإيمان؟

إذا كان الجواب عن هذا السؤال يعني الرد المضجر: يتوقف الأمر على ...، فلا، مما لاشكّ فيه أنّ العديد من الملحدين لن يكون إلحادهم مبنيّا على افتراضات لم يتم تمحيصها بشكل واضح، وأنهم ليسوا على وعي بصياغتها. فالتوحيد غالبا ما يتعارض مع العلم الطبيعي. وبالنسبة إلى البعض، فإنّ المذهب الطبيعي يقوم مقام المسلّمة ولا يحتاج إلى دليل إثبات. ومن هذا المنطلق، فإنّ كل التأويلات الصادقة هي ذات نزعة طبيعية، فبالرغم من عدم تفسير واضح لماهيتها الطبيعية فمحصلتها أنّ هذه التفسيرات لا يمكن الوصول عليها بالمعايير العلمية، فهي إذن زائفة ويجب رفضها، فالتجربة الدينية/ في هذا الصدد لا يمكن تبريرها بكونها تعبّر عن فهم أصلي لحقيقة إلهية، ولكن يجب البرهنة عليها انطلاقا من المستويات النفسية والثقافية والبيولوجية. إنّ علم الطبيعيات بطبيعة الحال يمكن أن يكون صحيحا، وفي الحقيقة فإنّ الأمر لا يعدو أن يكون مجرّد افتراضات غير مصرّح بها.

ولكن من جهة أخرى، فإنّ العديد من الملحدين ليسوا على وعي بالافتراضات الفلسفية التي يتم تقديمها (فمن منّا يستطيع ذلك؟) ولكنها تبقى منفتحة على التحدي وعقد مناظرات حولها. فالبعض منهم لديه تعصّب تجاه الأديان، حتى إنّك تجدهم يتلفّظون بعبارات: «إذا كان هناك إله فلينقذ روحي، إذا كانت لديّ روح». إنّ هذا السيل من الهجمات غالبا ما يكون سببه المتديّنون. وبما أنّ الإلحاد هو موقف عقدي بالأساس، وفي حين أننا نحن الموحّدين على الأقل نعترف أنّ موقفنا مبنيّ على اعتقاد، فأنتم أيّها الملحدون ترفضون الاعتراف بنفس الأمر، وفي بعض الأحيان يمكن القول إنّ الإلحاد ليس له أيّ أساس منطقي أكثر من التوحيد، ولقد رأينا احتمال الجواب على هذا. فمن خلال رؤية بعض السبل التي يمكن أن تكون حقيقية من أنّ موقفهم (في جانب منه) المبنيّ على عقيدة، قد يبدو خاطئا بالنسبة إلى الإلحاد. ويمكن أن نقول عن الإلحاد إنه التزام مخلص للحقيقة.

فبطبيعة الحال، فقد يكون الأمر خاطئا، ولكن إذا كان عكس ذلك، فإنّ هذا لن يظهر، غير أنّ الأمر هو عقائدي بالأساس؛ بمعنى أكثر جلاء قد يكون الملاحدة هم على خطأ.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2020

All rights reserved © 2020